

فلسفة الأخلاق في ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿٦﴾ "إشارات في الاستقامة والوسطية"

**Philosophical and moral aspect in the word of God:**

**"Guide us along the straight path"**

**"Meanings and connotations of straightness, rectitude and moderation"**

د. بكار الحاج جاسم\*

جامعة يالوا، كلية العلوم الإسلامية في تركيا، Bakkar71@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/11/25 تاريخ القبول: 2021/06/17 تاريخ النشر: 2021/09/30

الملخص :

القرآن هو الكتاب المهيمن الذي لا تنتهي علومه وعجائبه، فإذا تأملنا في آياته من حيث فلسفة الأخلاق وجدنا أنها تضمنتها وزادت عليها من حيث الثبوت والوضوح، فيفهمها العامة والخاصة، كلٌّ على قدر مستواه العلمي والثقافي، فمثلاً نجد أن الاستعاذة تشير إلى التحلية عن الرذائل، والبسملة تشير إلى التحلية بالفضائل، والحمدلة تشير إلى الترقى في الكمالات، والعبودية لله تشير إلى التحرر من الأغيار، وبذلك يكون الإنسان على الصراط المستقيم الذي يحقق الاعتدال والوسطية فلا إفراط ولا تفريط، ومن تحقق بالاستقامة نال الكرامة، وقد قيل: إنَّ الاستقامة على الصراط المستقيم من أعظم الكرامات. فهذا البحث يقدم إشاراتٍ فلسفية في الاستقامة والوسطية من خلال قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿٦﴾ [الفاحة: 6]. ذلك أنَّ الصراط المستقيم عند بعض العلماء يشير إلى فضيلة العدالة التي اعتنى بها الفلاسفة وعدوها الفضيلة الجامعة لأمهات الفضائل الثلاث: الحكمة وهي فضيلة القوة العقلية، والشجاعة وهي فضيلة القوة الغضبية، والعفة وهي فضيلة القوة الشهوية، والعدل من مقاصد القرآن العظيم.

الكلمات المفتاحية: الاستقامة؛ الوسط؛ الفضيلة؛ فلسفة الأخلاق؛ القرآن .

\* المؤلف المرسل

**.Abstract :**

The Holy Quran is a book whose knowledge and miracles are endless, if we ruminates its verses (ayat) in philosophical and moral aspect, we will find that the Holy Qur'an includes it and adds to it in terms of consistency and clarity, it is a holy book that everyone understands regardless of his or her educational, cultural and knowledge level, For example, the phrase "I seek refuge in Allah from the cursed Satan", refers to desire to give up sins. We also discussed the meanings of "Basmallah" (In the name of Allah, The All-Merciful, The Ever-Merciful), and how it calls for virtue and good morals, and the meanings of "Praise be to Allah" which calls for elevation, and "You alone we worship; and upon You, we call for help" in Surat Al-Fatiha, and how It calls for the worship of God alone and freedom from servitude to anyone other than God, Which leads to "the straight path", or "the right path" mentioned in Surat Al-Fatiha. It was said that being on the straight path is one of the greatest dignities, this research discusses meanings, connotations, and Moral philosophy in the word of God: "Guide us along the straight path" (Surat Al-Fatiha: 6), and how that leads to straightness , rectitude and moderation, this research also discusses meanings of "the straight path" , as interpreted by scholars and philosophers, and how some scholars regard it as the overarching virtue of the three main virtues, namely: Wisdom, which is the virtue of mental strength. Courage, which is the virtue of power in controlling anger and rage. Chastity, which is the virtue of power in controlling lust and desires.

**Keywords:** straightness; moderation; virtue; morality; Qur'an; philosophy .

### مقدمة:

الإنسان مغطور على جملة من الصفات النفسانية، صالحة للخير والشر، والإفراط والتفريط، وخير الأمور أوسطها، وذلك ما اتفق عليه الأنبياء والحكماء، وجاء القرآن ليلمم مكارم الأخلاق من خلال الأسوة الحسنة المتمثلة في النبي الخاتم ﷺ. والإفراط والتفريط ليس ظاهرة إنسانية فردية فحسب؛ بل هي ظاهرة اجتماعية عالمية أيضاً، وذلك منذ بدء الاجتماع البشري، وقد ذكر القرآن أول تطرف بشري وقع من أحد ابني آدم ﷺ، إذ قتل أحدهما الآخر حسداً! ونشهد في عصرنا أنواعاً لا تعد ولا تحصى من التطرف البشري الأخلاقي والديني!

ولهذا اهتمَّ الأنبياء بالدعوة إلى الوسطية، كما اهتمَّ بها كثير من الفلاسفة، وجعلها القرآن من المقاصد العظمى، وقد أمر المسلمين أن يدعوا بالثبات عليها، فيكرونها في اليوم والليلة سبع عشرة مرة في الصلوات المفروضة، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 6]. وكلما مررت على هذه الآية تثير في الذهن عدة تساؤلات، من أبرزها: السؤال الأول: هذه الآية دعاء بطلب الهداية على الصراط المستقيم، ويدعو بها كل مسلم ولا نجد لها أثراً في الواقع، فما سبب هذا الفارق بين النظرية والتطبيق؟ هل النظرية غير صحيحة أم أنَّ الدعاء غير مستوفٍ الشروط؟ ولما ثبتت صحة النظرية بالتواتر وأنها وحي لا يأتيه الباطل ألته، فإذن الدعاء غير مستوفٍ الشروط. السؤال الثاني: إذا كانت هذه الآية وأمثالها من الآيات البينات في وضوح الطريق وعدالته ووسطيته فما سبب التطرف الذي يُنسب إلى الإسلام؟ السؤال الثالث: ما أكثر المتفهمون والمتشككون بالنظريات الغربية والشرقية واعتراضاتهم وانتقاداتهم للقرآن الكريم، فيرون أنه خطاب وعظي غير صالح لكل زمان ومكان وغير ذلك مما يطرحونه! وكل سؤال من هذه الأسئلة يحتاج لبحث خاص يعالجها بعمق، ولهذا سأركز على السؤال الثالث لاهتمامي بالدراسة المقارنة بين الفلسفة والقرآن من جهة، وأنَّ الإجابة على الإشكاليين السابقين قد تناولته دراسات متعددة من خلال البحث عن الوسطية في الإسلام عموماً، فأما بحثها من الجانب الفلسفي الأخلاقي وإبراز العلمية والتوأمة بين النقل العقل فقليل؛ لهذا أبرزتها بالدراسة حتى يتبين للمبهورين بالفلسفة والدراسات العقلية أنَّ القرآن هو الكتاب المهيم في ثبوته ودلالته وإعجازه وعلومه، فلا يأتيه الباطل

من بين يديه ولا من خلفه! فهو النور المبين الذي أعشى أبصار المكذبين، فلم يروا حقائقه؛ لأنهم كفروا به وكذبوا بالنبوة، فضيَعوا بذلك علوماً كثيرة تتعلق بمصيرهم وحياتهم الأبدية. وقد لفت الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه دستور الأخلاق في القرآن الأنظار إلى تميّز القرآن عن غيره من الكتابات في الأخلاق أنه جمع بإيجاز بليغ القانون الأخلاقي في تاريخ البشرية وحفظه إلى الأبد، وجاء مكماً له<sup>1</sup>.

فأما المنهج المتبع في البحث فقد تعدد ما بين المنهج التحليلي والمقارن والاستنتاجي، وأما خطة البحث فجاءت في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث، فأما المقدمة فتضمنت سبب اختيار الموضوع وأهميته والمنهج وخطة البحث. وأما التمهيد فيشتمل على التعريف بفلسفة الأخلاق. وأما المبحث الأول: الاستقامة والوسطية ففيه ثلاثة مطالب: المطلب الأول: تعريف الاستقامة في اللغة. المطلب الثاني: معنى الاستقامة في الاصطلاح. المطلب الثالث: معنى الاستقامة في القرآن. وأما المبحث الثاني: معنى الوسطية: ففيه ثلاثة مطالب: المطلب الأول: تعريف الوسط في اللغة. المطلب الثاني: تعريف الوسط في الاصطلاح. المطلب الثالث: معنى الوسط في القرآن. وأما المبحث الثالث: الوسط منهج اكتساب الفضائل: ففيه أربعة مطالب: المطلب الأول: الحكمة فضيلة القوة العاقلة. المطلب الثاني: الشجاعة فضيلة القوة الغضبية. المطلب الثالث: العفة فضيلة القوة الشهوية. المطلب الرابع: العدالة الفضيلة الجامعة. وأما الخاتمة فتضمنت أبرز نتائج البحث.

### تمهيد : التعريف بفلسفة الأخلاق :

عرّف الكندي الفلسفة بأنها "علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان"<sup>2</sup>. ونُقِلَ عنه أيضاً أنها: "التشبه بالإله بقدر الطاقة الإنسانية"<sup>3</sup>. وهذا التعريف الثاني يشير إلى الغاية من الفلسفة، وهي استكمال النفس الإنسانية فضائلها.

ومعنى الخُلُق في الاصطلاح الفلسفي هو: "حَالٌ للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فِكْر ولا رَوِيَّة"<sup>4</sup>. فالخُلُق مَلَكَةٌ راسخة في النفس، فمثلاً مَنْ يَصْدُرُ منه بذل المال على الندور، لا يقال: خُلُقُهُ السخاء، وكذلك من تكلف السكوت عند الغضب بجهد أو روية، لا يقال: خُلُقُهُ الحِلْمُ. وبعد التعريف بالفلسفة وبالأخلاق يمكن أن نعرّف بالمركب الإضافي "فلسفة الأخلاق" بأنها: "العلم بصفات النفس الإنسانية، وسياستها؛ لاستكمال سعادتها". فالأخلاق ليست سلوكاً عملياً فحسب؛ بل هي علم وعمل<sup>5</sup>.

### المبحث الأول : الاستقامة والوسطية :

#### المطلب الأول : تعريف الاستقامة في اللغة :

أَقَمْتُ الشَّيْءَ وَقَوَّمْتَهُ فَقَامَ : بمعنى اسْتَقَامَ، والاسْتِقَامَةُ: اعتدال الشيء واستِوَاؤُهُ، واسْتَقَامَ فلان بفلان أي: مدّحه وأثنى عليه، وقَامَ مِيزَانُ النَّهَارِ : إذا انْتَصَفَ، والقَوَامُ : العَدْلُ<sup>6</sup>. والاستقامة: لزوم المنهج القويم<sup>7</sup>، والاعتدال<sup>8</sup>. أي: الوسط بين الإفراط والتفريط، والوسط هو المنهج الذي به تتحقق الفضائل في النفس الإنسانية.

يشير إلى لزوم المنهج القويم قول النَّبِيِّ ﷺ عندما سُئِلَ: (أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ وَقَالَ: أَكَلَفُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيفُونَ)<sup>9</sup>. أَكَلَفُوا: بفتح اللام وضمها، أي: الإبلاغ بالشيء إلى غايته، يقال: كلفت بالشيء إذا أولعت به<sup>10</sup>. قال الإمام النووي: "وإنما كان القليل الدائم خيراً من الكثير المنقطع؛ لأن بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص والإقبال على الخالق سبحانه وتعالى، ويثمر القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافاً كثيرة"<sup>11</sup>. ويشير إلى الاعتدال قول النبي ﷺ: (الْقَصْدُ الْقَصْدُ تَبْلُغُوا)<sup>12</sup>. أي: "إلزاموا الطَّرِيقَ الوسط المعتدل تبلغوا المنزل الَّذِي هو مقصدكم"<sup>13</sup>.

## المطلب الثاني: معنى الاستقامة في الاصطلاح :

ذكر الجرجاني عدة تعريفات للاستقامة، فقال : "هي كون الخط بحيث تنطبق أجزاؤه المفروضة بعضها على بعض على جميع الأوضاع، وفي اصطلاح أهل الحقيقة: هي الوفاء بالعهود كلها، وملازمة الصراط المستقيم برعاية حد التوسط في كل الأمور، من الطعام والشراب واللباس، وفي كل أمر ديني ودنيوي...؛ وقيل: الاستقامة ضد الاعوجاج، وهي مرور العبد في طريق العبودية بإرشاد الشرع والعقل والمداومة...؛ وقيل: الاستقامة ألا تختار على الله شيئاً...؛ وقال أبو علي الدقاق: لها مدارج ثلاثة: أولها: التقويم وهو تأديب النفس، وثانيها: الإقامة وهي تهذيب القلوب، وثالثها: الاستقامة وهي تقريب الأسرار"<sup>14</sup>.

قال القشيري: "الاستقامة درجة بها كمال الأمور وتمامها، وبوجودها حصول الخيرات ونظامها، ومن لم يكن مستقيماً في حالته ضاع سعيه وخاب جهده، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا﴾ [النحل: 92]. ومن لم يكن مستقيماً في صفته لم يرتق من مقامه إلى غيره...؛ وقيل: إن الاستقامة لا يطبقها إلا الأكابر؛ لأنها الخروج عن المعهودات ومفارقة الرسوم والعادات، والقيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق...؛ وقال الواسطي: الخصلة التي بها كملت المحاسن وبفقدتها قبحت المحاسن: الاستقامة...؛ ثم قال: "واعلم أن الاستقامة توجب إدامة الكرامة قال الله تعالى: ﴿وَأَلُو اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن: 16]. لم يقل: سقيناهم، بل قال: أسقيناهم! يقال: أسقيته إذا جعلت له سقياً، فهو يشير إلى الدوام"<sup>15</sup>. وذكر الألوسي أن الاستقامة التامة هي التي يُتَمَكَّنُ بها إلى الترتي إلى مرتبة المشاهدة، ومعارج أن تعبد الله تعالى كأنك تراه"<sup>16</sup>

## المطلب الثالث : معنى الاستقامة في القرآن :

ذكر القرآن الاستقامة بصيغ متعددة سبعا وأربعين مرة، فجاءت فعلاً وصفة، أما الفعل فمنه الماضي (استقاموا)، والمضارع (يستقيم)، والأمر (فاستقم، فاستقيما، فاستقيموا)، وأما الصفة فجاءت نكرة ومعرفة، ووصفاً للصرط سوى أربعة مواضع، حيث جاءت مرة صفة للهدى، ومرة صفة للطريق، ومرتين صفة للقسطاس. ذكر ابن القيم أن من منازل : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

فلسفة الأخلاق في ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ "إشارات في الاستقامة والوسطية"

[الفاتحة:5]. منزلة الاستقامة، وهي ضد الطغيان الذي يعني: مجاوزة الحدود في كل شيء، فالاستقامة كلمة جامعة، آخذة بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد، والاستقامة تتعلق بالأقوال، والأفعال، والأحوال، والنيات، فالاستقامة فيها: وقوعها لله، وباللله، وعلى أمر الله<sup>17</sup>.

ومن الآيات الكريمة في ذكر الاستقامة :

أولاً : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْبَشُروا بِالْحَسَنَةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ ﴿٣٠﴾ [فصلت: 30]. عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ. قَالَ: (قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمْ)<sup>18</sup>. ذكر الرازي أن الكمالات النفسانية محصورة في نوعين: العلم اليقيني، والعمل الصالح، وكمال الإنسان في أن يعرف الحق لذاته، والخير لأجل العمل به، ورأس المعارف اليقينية ورئيسها معرفة الله، وإليه الإشارة بقوله : "إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ"، ورأس الأعمال الصالحة ورئيسها أن يكون الإنسان مستقيماً في الوسط غير مائل إلى طرفي الإفراط والتفريط، وإليه الإشارة بقوله : "تَمَّ اسْتَقَامُوا"<sup>19</sup>.

ثانياً : قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّوْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ﴿١٥٢﴾ [الأنعام: 135]. عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : (كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَخَطَّ خَطًّا وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنْ يَمِينِهِ وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنْ يَسَارِهِ ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي الْخَطِّ الْأَوْسَطِ فَقَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ)<sup>20</sup>.

ثالثاً : قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطَّعُوا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ﴿١١٢﴾ [هود: 112]. فسّر الألوسي الاستقامة في هذه الآية بالوسط فقال: "هذا أمر بالدوام على الاستقامة وهي لزوم المنهج المستقيم، وهو المتوسط بين الإفراط والتفريط، وهي كلمة جامعة لكل ما يتعلق بالعلم والعمل وسائر الأخلاق"<sup>21</sup>.

رابعاً : قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَآءَآءَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمُ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَن أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [يس:60،61]. طاعة الشيطان تسلك بالإنسان السبل المعوجة المزعجة، وطاعة الرحمن تسلك بالإنسان الطريق المستقيم الذي لا عوج فيه من الأباطيل ومساوئ الأخلاق، والعبادة لله تعالى كما أمر هي الضمان في الاستقامة على الصراط المستقيم.

خامساً: قوله تعالى: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الفاتحة:6،7]. ذكر الرازي عدة لطائف في معنى الصراط المستقيم في هذه الآية، منه :

للطيفة الأولى : أن المنهج الحق في الاعتقادات وفي الأعمال هو الصراط المستقيم، أما في الاعتقادات فبيانه من وجوه : الأول : أن من توغل في التنزيه وقع في التعطيل ونفي الصفات، ومن توغل في الإثبات وقع في التشبيه وإثبات الجسمية والمكان، فهما طرفان معوجان، والصراط المستقيم الإقرار الخالي عن التشبيه والتعطيل. والثاني: أن من قال فعل العبد كله منه فقد وقع في القدر، ومن قال لا فعل للعبد فقد وقع في الجبر، وهما طرفان معوجان، والصراط المستقيم إثبات الفعل للعبد مع الإقرار بأن الكل بقضاء الله، وأما في الأعمال فنقول: من بالغ في الأعمال الشهوانية وقع في الفجور، ومن بالغ في تركها وقع في الجمود، والصراط المستقيم هو الوسط، وهو العفة، وأيضاً من بالغ في الأعمال الغضبية وقع في التهور، ومن بالغ في تركها وقع في الجبن، والصراط المستقيم هو الوسط، وهو الشجاعة .

للطيفة الثانية : أن ذلك الصراط المستقيم وصفه بصفتين: أولاهما إيجابية، والأخرى سلبية، أما الإيجابية فكون ذلك الصراط صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأما السلبية فهي أن تكون بخلاف صراط الذين فسدت قواهم العملية بارتكاب الشهوات حتى استوجبوا غضب الله عليهم، وبخلاف صراط الذين فسدت قواهم النظرية، حتى ضلوا عن العقائد الحقية والمعارف اليقينية<sup>22</sup>.

نستنتج مما سبق أن هناك علاقة وثيقة بين الاستقامة والوسطية أو الاعتدال؛ لهذا نبحت في معنى الوسطية في المبحث الثاني :



## المبحث الثاني : معنى الوسطية :

### المطلب الأول : تعريف الوسط في اللغة :

الْوَسَطُ بِالتَّحْرِيكِ : اسْمٌ لِمَا بَيْنَ طَرَفَيْ الشَّيْءِ، كَقَوْلِكَ: قَبَضْتُ وَسَطَ الْحَبْلِ وَكَسَرْتُ وَسَطَ الرُّمْحِ وَجَلَسْتُ وَسَطَ الدَّارِ، وَوَأَسِطُهُ الْقِلَادَةُ : الدُّرَّةُ الَّتِي فِي وَسَطِهَا وَهِيَ أَنْفُسُ خَرَزِهَا، وَتَوَسَّطَ: أَخَذَ الْوَسَطَ وَهُوَ بَيْنَ الْجَيْدِ وَالرَّذِيِّ، رَجُلٌ وَسِيطٌ أَيْ حَسِيبٌ، وَتَوَسَّطَ بَيْنَهُمْ: عَمِلَ الْوَسَاطَةَ. وَالْوَسَطُ قَدْ يَأْتِي صِفَةً وَإِنْ كَانَ أَصْلُهُ أَنْ يَكُونَ اسْمًا مِنْ جِهَةِ أَنْ أَوْسَطَ الشَّيْءُ أَفْضَلَهُ وَخِيَارَهُ كَوَسَطَ الْمَرْعَى خَيْرٌ مِنْ طَرَفِيهِ وَكَوَسَطَ الدَّابَّةَ لِلرُّكُوبِ خَيْرٌ مِنْ طَرَفَيْهَا لِتَمَكُّنِ الرَّكَّابِ<sup>23</sup>.

### المطلب الثاني : تعريف الوسط في الاصطلاح :

قال أرسطو : "إن الوسط بالنسبة لشيء ما، هو النقطة التي توجد على بعد سواء، من كلا الطرفين، والتي هي واحدة وبعينها في كل الأحوال، أما بالإضافة إلى الإنسان، بالإضافة إلينا، فالوسط هو هذا الذي لا يعاب بالإفراط ولا بالتفريط، وهذا المقدار المتساوي بعيد أن يكون واحداً بالنسبة لجميع الناس، ولا هو بعينه بالنسبة للجميع"<sup>24</sup>. يلاحظ في تعريف أرسطو للوسط أنه على نوعين: الأول: وسط معياري (حسابي)، وذلك في المحسوسات. والثاني: وسط معنوي (اعتباري)، وذلك في الإنسان كما قال، فهذا يختلف من إنسان إلى آخر، وضابطه لا إفراط ولا تفريط.

وقد تكلم مسكويه عن الوسط في الأخلاق فذكر أن الوسط هو مركز الأشياء، كالمركز من الدائرة، هو على غاية البعد من المحيط، فعلى هذا الوجه ينبغي أن يفهم معنى الوسط من الفضيلة، ولهذا إذا انحرفت الفضيلة عن موضعها الخاص بما أدنى انحراف قربت من رذيلة أخرى، ولم تسلم من العيب بحسب قربها من تلك الرذيلة التي تميل إليها؛ ولهذا صعب جداً وجود هذا الوسط، ثم التمسك به بعد وجوده أصعب؛ وذلك أن الأطراف التي تسمى رذائل من الأفعال والأحوال والزمان وسائر الجهات كثيرة جداً؛ ولذلك كانت دواعي الشر أكثر من دواعي الخير، ويجب أن تطلب أوساط تلك الأطراف بحسب كل فرد<sup>25</sup>.

ولخص الغزالي كلام مسكويه فقال : "الوسط: الحق بين الطرفين، فهو الصراط المستقيم، وهو أرق من الشعرة وأحد من السيف، فإن عجز عنه فليطلب القرب منه"<sup>26</sup>.

وقد يُفهم من كلام مسكويه والغزالي أنّ الوسط حسابي، حيث هو كالمركز من الدائرة، أو هو أدق من الشعرة، ولكن ليس الأمر كذلك، فهما يتكلمان عن الوسط الذي هو العدل، أي: إصابة الحق على ما هو عليه، وهذا أمر يصعب على النفس الإنسانية؛ لذلك اتجهوا إلى طلب القرب منه، وهذا كلام دقيق جداً، وكأنه يفسر قوله تعالى: ﴿عَدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة 8]. ويشير إليه قول النبي ﷺ: (سَدُّوا وَقَارِبُوا وَعَلِمُوا أَنَّ لَنْ يُدْخَلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ وَأَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ)<sup>27</sup>.

### المطلب الثالث : معنى الوسط في القرآن :

بعد استقرار كلمة الوسط في القرآن تبين أنها جاءت على معنيين: الأول: صفة للشيء بأنه خير وأفضل، يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة 143]. أي: خياراً، أو عدولاً<sup>28</sup>. وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسطها، ولما كان الوسط مجانباً للغلو والتقصير كان محموداً. الثاني : اسم لما بين طرفي الشيء، ويشير إليه قوله تعالى: ﴿فَوَسَّطَنَ بِهِ جَمْعًا﴾ [العاديات:5]. أي: فتوسطن بذلك الوقت أو بالعدو، أو بالنقع، أي ملتبسات به<sup>29</sup>. ويستنبط من هذين المعنيين تعريف الوسطية فيقال: "هي الاعتدال في الأشياء كما وكيفاً". فالكم يشير إلى المحسوسات، والكيف يشير إلى المعنويات .

والخطاب في قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة 143]. لمجموع الأمة وليس لكل فرد من أفرادها، فالمعنى أنه لا بد وأن يوجد فيما بينهم من يكون بهذه الصفة<sup>30</sup>، وهذه الأمة ليست مقصورة على جنس أو لون أو لغة، وهذه الوسطية تقتضي الشهود المستمر على الناس؛ لإقامة الحجّة عليهم، لقوله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143]. وشهود الأمة كائن في الدنيا والآخرة، وإلى هذا أشار البيضاوي فقال : "لتكونوا شهداء على معاصريكم، وعلى الذين من قبلكم أو بعدكم"<sup>31</sup>. ونلاحظ أن الآية قد ربطت بين شهادة الأمة على الناس وشهادة الرسول ﷺ على هذه الأمة نفسها، ووجه الحكمة في ذلك . والله أعلم . أن تبقى الأمة حريصة على أداء شهادتها كما يريد منها الله ورسوله، من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ودعوة إلى الله تعالى، فهذه أعمال الشهادة على الناس، فلا تميل

فلسفة الأخلاق في ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ "إشارات في الاستقامة والوسطية"

بشهادتها لأي عرض من أعراض الحياة الدنيا، فإن فعلت ذلك فلتعلم أن الرسول ﷺ شهيد على أعمالها. وشهادة الرسول ﷺ على شهادة الأمة تتمثل في سنته الشريفة التي تستقي منها الأمة منهجاً قويمًا في شهادتها وحياتها، وبناء على هذا عُصِمَت الأمة من الضلالة، فلا تجتمع على خطأ، كما قال النبي ﷺ: (إن الله لا يجمع أمتي أو قال أمة محمد ﷺ على ضلالة)<sup>32</sup>. وبهذا المفهوم لوسطية الأمة وشهودها يتضح لدينا أنها سنة إلهية مطردة إلى قيام الساعة؛ بل ستكون شاهدة على الأمم يوم القيامة أيضاً كما ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: (يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ فَيَقُولُ هَلْ بَلَغْتَ فَيَقُولُ نَعَمْ فَيَقَالُ لِأُمَّتِهِ هَلْ بَلَغَكُمْ فَيَقُولُونَ مَا أَنَا مِنْ نَذِيرٍ فَيَقُولُ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ وَالْوَسْطُ الْعَدْلُ) <sup>33</sup>.

### المبحث الثالث : الوسط منهج اكتساب الفضائل :

تعد الفضائل الخلقية هي الطرف الحسن للأخلاق، والطرف المقابل لها هي الرذائل، فالفضيلة هي الخلق الحسن، كما أن الرذيلة هي الخلق القبيح، وقد عرّف أرسطو الفضيلة بأنها الكيفية الأخلاقية التي تصيّر الإنسان إنساناً صالحاً خيراً<sup>34</sup>. ويُعبّر عن هذه الكيفية بالوسطية في الأفعال، فالفضيلة وسط بين رذيلتين، فما زاد أو نقص عن ذلك الوسط فيعد رذيلة، فمثلاً العفة وسط بين الشره وخمود الشهوة، والسخاء وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور<sup>35</sup>. ولما كانت الفضائل الخلقية كثيرة حاول جمهور الفلاسفة حصرها في أربع فضائل رئيسة، وهي: الحكمة والعفة والشجاعة والعدل<sup>36</sup>، فاعتبروا هذه الأخلاق أصول الفضائل كلها، وتقسيمهم لتلك الفضائل كان بحسب قوى النفس، فتختص كل قوة من قوى النفس بفضيلة جامعة لعدة فضائل. قال الغزالي: "الفضائل وإن كانت كثيرة، فيجمعها أربع تشمل شعبها وأنواعها، وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة، فالحكمة فضيلة القوة العقلية، والشجاعة فضيلة القوة الغضبية، والعفة فضيلة القوة الشهوية، والعدالة عبارة عن وقوع هذه القوى على الترتيب الواجب فيها، فبها تتم جميع الأمور"<sup>37</sup>. وذكر أنه لم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربع إلا رسول الله ﷺ، والناس بعده

متفاوتون في القرب والبعد منه، وقد أشار القرآن إلى هذه الأخلاق في أوصاف المؤمنين، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات: 15]. فالإيمان بالله وبرسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين، وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة، والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع إلى ضبط قوة الشهوة، والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع إلى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال<sup>38</sup>. وفي هذا المبحث نتكلم عن إشارات القرآن إلى هذه الفضائل الأربع من خلال منهج الوسطية :

### المطلب الأول : الحكمة فضيلة القوة العاقلة :

القوة العاقلة : هي القوة التي بها يكون الفكر والتمييز والنظر في حقائق الأمور، والفضيلة الصادرة عنها هي الحكمة<sup>39</sup>. والحكمة هي: "علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في الوجود بقدر الطاقة البشرية...؛ والحكمة وسط بين السفه والبله، ومعنى السفه: استعمال القوة الفكرية فيما لا ينبغي، والبله تعطيل هذه القوة"<sup>40</sup>. وقد أشار القرآن إلى الحكمة في مواضع متعددة، منها :

أولاً : قوله تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٦٦﴾ ﴾ [البقرة: 269]. ذكر ابن عاشور أنَّ الحكمة في نظر الدين على أربعة فصول: الأول: معرفة الله حق معرفته، وهو علم الاعتقاد الحق، ويسمى عند اليونان العلم الإلهي، أو ما وراء الطبيعة. الثاني: علم الأخلاق. الثالث : تهذيب العائلة، وهو المسمى عند اليونان علم تدبير المنزل. الرابع: تقويم الأمة وإصلاح شؤونها، وهو المسمى علم السياسة المدنية<sup>41</sup>. وثمره الحكمة كما قال الغزالي: "أن يتيسر له الفرق بين الحق والباطل في الاعتقادات، وبين الصدق والكذب في المقال، وبين الجميل والقبيح في الأفعال، ولا يلتبس عليه شيء من ذلك، مع أنه الأمر الملتبس على أكثر الخلق"<sup>42</sup>.

ثانياً: قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [لقمان: 12]. وقد أشار لقمان إلى فكرة الوسطية في وصاياه كما

فلسفة الأخلاق في ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إشارات في الاستقامة والوسطية"

حكى القرآن: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: 19]. فأشار بالمشي إلى الأفعال، وأشار بالصوت إلى الأقوال، وبهذا جمع بين أحوال الإنسان كلها، فينبغي أن تكون على حدِّ الاعتدال، سواء مع نفسه أو مع الناس .

### المطلب الثاني : الشجاعة فضيلة القوة الغضبية :

القوة الغضبية: هي القوة التي بها يكون الغضب والنجدة والإقدام على الأهوال، والشوق إلى التسلط والترفع، وضروب الكرامات، والفضيلة الصادرة عنها هي الشجاعة...؛ والشجاعة أن تظهر في الإنسان بحسب انقيادها للنفس الناطقة، واستعمال ما يوجبه الرأي في الأمور الهائلة، أي: لا يخاف من الأمور المفزعة إذا كان فعلها جميلاً، والصبر عليها محموداً، ومتى كانت حركة النفس الغضبية معتدلة تطيع النفس العاقلة، فلا تهيج في غير حينها، ولا تحمي أكثر مما ينبغي لها، حدثت منها فضيلة الحلم، وتتبعها فضيلة الشجاعة...؛ وفضيلة الشجاعة هي وسط بين رذيلتين: إحداها الجبن والأخرى التهور<sup>43</sup>. فالتهور لطرف الزيادة عن الاعتدال، وهي الحالة التي بها يقدم الإنسان على الأمور المحظورة، التي يجب في العقل الاحجام عنها، وأما الجبن فلطرف النقصان، وهي حالة بها تنقص حركة الغضبية عن القدر الواجب، فتُصْرَفُ عن الإقدام حيث يجب الإقدام، فيصدر من خلق الشجاعة الإقدام حيث يجب وكما يجب، وهو الخلق الحسن المحمود، وإياه أريد بقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ﴾ [الفتح: 29]. فالشدة والرحمة بحسب المقام، والمحمود منهما ما وافق العقل والشرع<sup>44</sup>.

قال الراغب الأصفهاني: "إن اعتبرت [يعني الشجاعة] وهي في النفس فصرامة القلب على الأهوال وربط الجأش في المخاوف، وإن اعتبرت بالفعل فالإقدام على موضع الفرصة، وهي فضيلة بين التهور والجبن، وهي تتولد من الفرع والغضب إذا كانا متوسطين، فإن الغضب قد يكون مفرطاً كمن يحنث سريعاً من أشياء صغيرة، وقد يكون مقصراً كمن لا يغضب من الاجترار على حرمه وشتم أبيه وأمه، وقد يكون متوسطاً على ما يجب في وقت ما يجب وبقدر ما يجب، وكذلك الفرع قد يكون مفرطاً فيتولد منه الجبن الهالع، ومقصراً فيتولد عنه الوقاحة والعمارة، كمن لا يفرغ من شتم آبائه وتضييع حرمه وأصدقائه، وقد يكون متوسطاً كما يجب وبقدر ما يجب ولكونهما"<sup>45</sup>.

وقال ابن قدامة : "والناس في قوة الغضب على درجات ثلاث: إفراط، وتفريط، واعتدال، فلا يحمد الإفراط فيها، لأنه يخرج العقل والدين عن سياستهما، فلا يبقى للإنسان مع ذلك نظر ولا فكر ولا اختيار. والتفريط في هذه القوة أيضاً مذموم، لأنه يبقى لا حمية له ولا غيره، ومن فقد الغضب بالكلية، عجز عن رياضة نفسه، إذ الرياضة إنما تتم بتسلط الغضب على الشهوة، فيغضب على نفسه عند الميل إلى الشهوات الخسيسة، ففقد الغضب مذموم، فينبغي أن يطلب الوسط بين الطرفين. واعلم: أنه متى قويت نار الغضب والتهيب، أعمت صاحبها، وأصمته عن كل موعظة، لأن الغضب يرتفع إلى الدماغ، فيغطي على معادن الفكر، وربما تعدى إلى معادن الحس، فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه، وتسود الدنيا في وجهه، ويكون دماغه على مثال كهف أضمرت فيه نار، فاسود جوهه، وحمى مستقره، وامتلأ بالدخان، وكان فيه سراج ضعيف فانطفأ، فلا يثبت فيه قدم، ولا تسمع فيه كلمة، ولا ترى فيه صورة، ولا يقدر على إطفاء النار، فكذلك يفعل بالقلب والدماغ، وربما زاد الغضب فقتل صاحبه"<sup>46</sup>.

ورأى الغزالي أن الأسباب المهيجة للغضب هي: الزهو والعجب والمزاح والهزل والهزء والتعبير والممارسة والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه. وكل صفة من هذه الصفات يفتقر في علاجها إلى رياضة وتحمل مشقة، وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة غوائلها؛ لترغب النفس عنها وتنفر عن قبورها، ثم المواظبة على مباشرة أضرارها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفة هينة على النفس، فإذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل، وتخلصت أيضاً عن الغضب الذي يتولد منها.

ومن أشد البواعث على الغضب عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة، وتلقيه بالألقاب المحمودة غباوة وجهالاً، حتى تميل النفس إليه وتستحسنه، وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الأكابر في معرض المدح بالشجاعة، والنفوس مائلة إلى التشبه بالأكابر، فيهيح الغضب إلى القلب بسببه، وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل، بل هو مرض قلب ونقصان عقل؛ بل القوي من يملك نفسه عند الغضب، كما قال رسول الله ﷺ : (لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْعُضْبِ)<sup>47</sup>.

فلسفة الأخلاق في ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إشارات في الاستقامة والوسطية

والامتناع عن أسباب الغضب هو المعنى بقول رسول الله ﷺ: (لا تغضب)<sup>48</sup>. أي: اجتنب أسباب الغضب ولا تتعرض لما يجلبه، وأما نفس الغضب فلا يتأتى النهي عنه؛ لأنه أمر طبيعي لا يزول من الجلبة، فما كان من قبيل الطبع الحيواني لا يمكن دفعه فلا يدخل في النهي؛ لأنه من تكليف المحال، وما كان من قبيل ما يكتسب بالرياضة فهو المراد<sup>49</sup>.

ويعين على ترك الغضب استحضار ما جاء في كظم الغيظ من الفضل، كقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: 133، 134]. وكذلك أن يستحضر أن الغضب من نزع الشيطان الذي يريد أن يصرفه عن محاسن الأخلاق، قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١١٩﴾ وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف، 199، 201].

### المطلب الثالث : العفة فضيلة القوة الشهوية :

القوة الشهوية: هي القوة التي بها تكون الشهوة وطلب الغذاء، والشوق إلى الملاذ التي في المآكل والمشرب والمناكح، وضروب اللذات الخسيسة، والفضيلة الصادرة عنها العفة...؛ والعفة أن يصرف شهواته بحسب الرأي، أي: أن يوافق التمييز الصحيح حتى لا ينقاد لها، ويصير بذلك حراً غير متعبد لشيء من شهواته، ومتى كانت حركة النفس البهيمية معتدلة منقادة للنفس العاقلة، غير متأبئة عليها، ولا منهمكة في اتباع هواها، حدثت عنها فضيلة العفة، وتتبعها فضيلة السخاء<sup>50</sup>. وعماد العفة أن لا يطلقها صاحبها في شيء مما يختص بكل واحدٍ منهما إلا فيما يسوغه العقل والشرع، دون الشهوة والهوى<sup>51</sup>. ويصدر عن فضيلة العفة: السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع، وأما ميلها إلى الإفراط أو التفريط فيحصل منه: الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والجمانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للأغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك<sup>52</sup>. وقد صرح القرآن بذكر التعفف في سياق المال والنكاح، أو كما يقال في علم الأخلاق: شهوة البطن والفرج<sup>53</sup>. قال تعالى:

﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ [النساء: 6]. وقال تعالى: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُعْطِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِّن قَالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ نَحْصِنَا لَتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرِهِنَّ عُفُوٌّ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ [النور: 33]. وأشار القرآن إلى الوسطية في المأكل والمشرب، فقال تعالى: ﴿ يَبْتَئِي ءَادَمَ حُدُودَ زَيْتِكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ [الأعراف: 31]. أي: لا تسرفوا بالإفراط والتفريط، فإن العدالة صراط الله تعالى المستقيم<sup>54</sup>. وفي هذا انسجام مع مبدأ الوسطية، فلا إسراف ولا تقتير، ولا امتناع عن المادية ولذا نذ الحياة المشروعة، ولا رغبة في الرهبانية والزهد المؤدي إلى الكبت وتعذيب النفس وإضعاف الجسد وحرمانه، كما لا إغراق في الشهوات وانتهاج اللذات فوق القدر المعتاد المتوسط<sup>55</sup>. وكذلك أشار القرآن إلى الوسطية في الإنفاق، فقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٣٧﴾ [الفرقان: 67]. ومعنى "قَوَامًا"، أي: العدل بين الشيعين؛ لاستقامة الطرفين واعتدالهما<sup>56</sup>. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعَدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ [الإسراء: 29]. قال الرازي: "وحاصل الكلام: أن الحكماء ذكروا في كتب «الأخلاق» أن لكل خلق طرفيَّ إفراط وتفريط، وهما مذمومان، فالبخل إفراط في الإمساك، والتبذير إفراط في الإنفاق، وهما مذمومان، والخلق الفاضل هو العدل والوسط"<sup>57</sup>.

### المطلب الرابع: العدالة الفضيلة الجامعة:

العدالة هي الفضيلة التي نَحْدُثُ للنفس من اجتماع الفضائل الثلاث السابقة، وذلك عند مسالمة هذه القوى بعضها لبعض، واستسلامها للقوة العاقلة، ويحدث للإنسان بها سمة يختار بها أبدأ الإنصاف من نفسه أولاً، ثم الإنصاف والانتصاف من غيره وله<sup>58</sup>. والعدل روح الفضائل الإنسانية باتفاق الأديان والحكماء! ويعني: التخلق بالوسطية في علاقة الإنسان مع نفسه ومع غيره، فلا إفراط ولا تفريط في الحقوق والواجبات. والعدل ظاهرة كونية ربانية، فكل شيء قائم بالعدل،



وإلى هذه الحقيقة يشير قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام: 115]. وقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَمَلَ تَبِيكُهُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: 18]. قال الرازي: "معنى كونه قائماً بالقسط: قائماً بالعدل، كما يقال: فلان قائم بالتدبير، أي: يجريه على الاستقامة، واعلم أن هذا العدل منه ما هو متصل بباب الدنيا، ومنه ما هو متصل بباب الدين، أما المتصل بالدنيا، فانظر أولاً في كيفية خلقه أعضاء الإنسان، حتى تعرف عدل الله تعالى فيها، ثم انظر إلى اختلاف أحوال الخلق في الحسن والقبح، والغنى والفقر والصحة والسقم، وطول العمر وقصره واللذة والآلام، واقطع أن كل ذلك عدل من الله وحكمة وصواب، ثم انظر في كيفية خلقه العناصر وأجرام الأفلاك، وتقدير كل واحد منها بقدر معين وخاصية معينة، واقطع بأن كل ذلك حكمة وصواب، أما ما يتصل بأمر الدين، فانظر إلى اختلاف الخلق في العلم والجهل، والبطانة والبلادة والهداية والغواية، واقطع بأن كل ذلك عدل وقسط" <sup>59</sup>. وقال ابن عاشور: "وقد أقام الله القسط في تكوين العوالم على نظمها، وفي تقدير بقاء الأنواع، وإيداع أسباب المدافعة في نفوس الموجودات، وفيما شرع للبشر من الشرائع في الاعتقاد والعمل؛ لدفع ظلم بعضهم بعضاً، وظلمهم أنفسهم، فهو القائم بالعدل سبحانه، وعدل الناس مقتبس من محاكاة عدله" <sup>60</sup>.

وقد جمع القرآن بين العدل والصراف المستقيم، وفي ذلك إشارة إلى أن كمال العدالة لا يكون إلا بالوقوف على الصراف المستقيم، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [النحل: 76]. وقد تقدم الكلام عن معنى الصراف المستقيم. ويعدُّ العدل من المقاصد العليا للشرائع الربانية، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٥٥﴾﴾ [الحديد: 25]. فالمراد من إرسال الرسل وإنزال الكتب إقامة القسط بين الناس، ويدل هذا على حاجة البشر إلى منهج رباني يحقق لهم كمال العدالة، ويكون لهم دستور وقانون عام، لا يجدون فيه نزعةً إنسانيةً متحيزةً لفئة دون أخرى.

وإذا غاب العدل ظهر الظلم، والظلم مُؤذِنٌ بخراب العمران<sup>61</sup>. تلك سنة إلهية في قيام الأمم وسقوطها؛ لهذا كان العدل في الإسلام فريضة محكمة، مع البرِّ والفاجر، والصديق والعدو، ومن الآيات الكريمة التي حثت على ذلك: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء: 58]. وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ نَعَزُّوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: 135]. وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَاؤُا قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: 8]. أي: "لا يحملنكم بغض قوم على أن تجوروا عليهم وتجاوزوا الحد فيهم، بل اعدلوا فيهم وإن أساءوا عليكم، وأحسنوا إليهم وإن بالغوا في إجحاشكم، فهذا خطاب عام، ومعناه أمر الله تعالى جميع الخلق بأن لا يعاملوا أحداً إلا على سبيل العدل والإنصاف، وترك الميل والظلم والاعتساف"<sup>62</sup>.

والعدالة حين تُطلب مع الخصم هي تقريع لذلك الخصم؛ لأنَّ عدالة المسلم مع الخصم ربما تجعله يفكر في حقيقة الدافع لإقامة العدل معه، وقد يدفعه هذا التفكير إلى الإيمان والتقوى، وإلى هذه الحقيقة يشير قوله تعالى: "اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ" أي: أن الخصم يكون أقرب إلى التقوى حين يرى المؤمن مقيماً للعدل، فلعله يرتدع ويعاود نفسه ويقول: إن الإيمان قد جعل هذا المسلم يتغلب على البغض وحكم بالحق على الرغم من أنه يعلم أنني عدو له، فالمعنى النفسي الذي يصيب خصمك حين يراك آثرت الحق على بغضك له، يجعله يلتفت إلى الإيمان الذي جعل الحق يعلو الهوى ويغلبه ويقهره، ويصير أقرب للتقوى، وأيضاً مَنْ يشهد بالقسط هو أقرب للتقوى<sup>63</sup>.

ويقوي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مَن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوًا مَا عَنِتُّمْ قَدَ بَدَتِ أَلْبَعَضَاءُ مِنْ أَوْهِيهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدَ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَآأَنْتُمْ ءَوْلِيَآءُ مُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمُ وَتُؤْمِنُونَ بِآلِكِتَابِ كُتِبَ عَلَيْهِ وَإِذَا لَفُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَاوَا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْآتِنَامِلَ مِنَ الْعَغِيطِ قُلْ مُوتُوا بِعَظِيمِكُمْ إِنَآ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمَسَّكُمُ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمُ وَإِن نُّصِبْكُمْ سَيِّئَةً يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَآ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران: 118، 120]. هذا شأن الأعداء، وانظر إلى الموقف العادل الذي يجب أن يتخذه المؤمنون معهم، قال تعالى: "وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَآ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ". وقد فصل في موضع آخر كيف تكون علاقة المؤمن مع عدوهم، فقال تعالى: ﴿لَا يَهْدِيكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَنُقِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَهْدِيكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [المتحنة: 8، 9]. ونلاحظ أن هاتين الآيتين فرقتا بين أمرين: الأول: الفرق بين الموالاة والبر والقسط: فأما الموالاة فتعني: الوداد والنصرة واتخاذ البطانة، فهذا منهجي عنه، وأما البر فهو اسم للخير ولكل فعل مرضي، وأما القسط فمعناه العدل، وهاتان الخصلتان (البر والقسط) تبدلان لجميع الناس. والثاني: الفرق بين الكافرين المحاربين وغير المحاربين: فلا نهي في البر والقسط إلى الكافرين غير المحاربين، فأما الكافرون المحاربون فلا موالاة لهم نصاً، وإنما تجري عليهم أحكام الحرب التي لا تخلو من البر والقسط، وخاصة مع الأسرى والنساء والأطفال... وغير ذلك من الأحكام المفصلة في كتب الفقه.

والعدل على ضربين: الأول: عدل مطلق: يقتضي العقل حسنه، ولا يكون منسوخاً في شيء من الأزمنة، ولا يوصف بالجور في حال، وذلك مثل جذب الإحسان إلى من أحسن إليك، وكف الأذية عمّن كف أذاه عنك. والثاني: عدل مقيد: يعرف كونه عدلاً بالشرع، ويمكن أن يكون منسوخاً في بعض الأحوال والأزمنة، وذلك مقابلة السوء بمثله، كأحوال القصاص، وهذا النحو يصح أن يوصف على المجاز في بعض الأحوال بالجور، ولذلك قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: 40]. فسمى جزاء السيئة سيئة من حيث إنه لو لم يكن معتبراً بالسيئة المتقدمة كانت

هي سيئة...؛ وبالنظر إلى النوع الأول والاعتبار به، قال بعض المتكلمين: يعرف العدل والجور قبل الشرع، وبالنظر إلى النوع الثاني والاعتبار به، قال بعضهم: لا يعرفان إلا بالشرع<sup>64</sup>.  
ولا تتبين حقيقة فضيلة العدالة إلا إذا اختلط الإنسان بالمجتمع وعاشر الناس وتعامل معهم بالدرهم والدينار، وقد أشار القرآن إلى هذه المسألة بعد الكلام عن الصراط المستقيم في قوله تعالى:  
﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [سورة الفاتحة: 7]. وفي هذه الآية إشارات فلسفية في الاجتماع الإنساني، وأوجه الاتفاق والافتراق بين الإنسان والمجتمع، سنخصّصها في بحث مستقل إن شاء الله تعالى .

### الخاتمة :

قدّم البحث بعض الإشارات في فلسفة الأخلاق من خلال الآية القرآنية التي يكرها المسلمون في صلواتهم المفروضة سبع عشرة مرة، وهي قوله تعالى في سورة الفاتحة: اهدنا الصراط المستقيم، وبعد تلك الإشارات أذكر أبرز النتائج في النقاط الآتية:  
أولاً: الصراط المستقيم هو الطريق الوسط والاعتدال في جميع المستويات المعنوية والمادية. والاستقامة على المنهج الوسطي من مقاصد القرآن الكبرى، ومن أبرز الفلاسفة الذين اهتموا بفكرة الوسطية أرسطوطاليس، وجملة ما ذكره لا يختلف عما ذكره القرآن؛ ولهذا برزت فكرته عن الوسطية في كتابات علماء المسلمين مثل مسكويه والراغب الأصفهاني والغزالي.  
ثانياً: المسلمون يدعون بالثبات على الاستقامة في اليوم والليلة سبع عشرة مرة، وذلك في الصلوات المفروضة غير الصلوات النافلة؛ ولذلك كانوا أمة وسطاً، وكانوا خير أمة أخرجت للناس، وعلى الرغم من الضعف والتقهر الذي أصاب الأمة، وظهور التطرف بين الحين والآخر في بعضهم، فما زال الخير في جملتها.  
ثالثاً: الاستقامة مقام من مقامات أهل التصوف، وقد ذكر البحث بعض النصوص في معنى الاستقامة عندهم، وعدوها من أعظم الكرامات، فالاستقامة عين الكرامة، والتصوف خُلُقٌ سَيِّئٌ، وقد اشْتُهِرَ عن أهلِهِ أَنَّ التَّصَوِّفَ خُلُقٌ مَن زَادَ عَلَيْكَ بِالخُلُقِ فَقَدْ زَادَ عَلَيْكَ فِي التَّصَوِّفِ، وَقَدْ طَبَّقَتِ الْأَخْلَاقَ عَمَلِيًّا مِنْ خِلَالِهِ.

فلسفة الأخلاق في ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ "إشارات في الاستقامة والوسطية"

رابعاً: الوسط هو المنهج الصحيح في اكتساب الفضائل، فالحكمة هي الوسط في القوة العاقلة، والشجاعة هي الوسط في القوة الغضبية، والعفة هي الوسط في القوة الشهوية، وهذا ما تكلم عنه القرآن وكذلك فلاسفة الأخلاق.

خامساً: العدالة هي الفضيلة الجامعة لأمتهات الفضائل، وتحقق العدالة عند الاستقامة على الوسط في قوى النفس الثلاث: العاقلة والغضبية والشهوية. وقد حثَّ القرآن على العدالة في كل شأن، حتى طلب من الإنسان أن يشهد بالحق ولو على نفسه أو الوالدين، فالعدالة من المقاصد العظمى في القرآن.

سادساً: لقد اتفقت الفلسفة والشريعة على مبدأ الوسطية، فكما تكلم الحكماء عن الوسطية في قوى النفس فكذلك القرآن تكلم عنها، وبعد استقراء كلمة الوسط في القرآن تبين أنها جاءت على معنيين: الأول: صفة للشيء بأنه خير وأفضل، والثاني: اسم لما بين طرفي الشيء، ويستنبط من هذين المعنيين تعريف الوسطية فيقال: "هي الاعتدال في الأشياء كما وكيفاً". فالكم يشير إلى المحسوسات، والكيف يشير إلى المعنويات. وقد قدّم البحث بعض النماذج في الوسط والاعتدال، وهناك دراسات خاصة في مبدأ الوسطية في القرآن.

وفي الختام أصي الباحثين بالاهتمام بالدراسة المقارنة بين النصوص القرآنية والعلوم الإنسانية، فإنَّ ذلك يقدّم منهجاً جديداً من مناهج التفسير، ويشير إلى أنَّ علوم القرآن لا تنتهى، وأنَّ عطاءه يتجدد على مرّ الزمان .

- <sup>1</sup> انظر: محمد عبد الله دراز (ت 1377هـ)، دستور الأخلاق في القرآن، مؤسسة الرسالة، ط 10/1418هـ/1998م. 8.
- <sup>2</sup> الكندي، يعقوب بن إسحاق (ت. 252هـ)، رسائل الكندي الفلسفية، (رسالة في الفلسفة الأولى)، تحقيق د. محمد عبد الهادي أبو ريذة، دار الفكر العربي، ط. 1950م. 97.
- <sup>3</sup> الكندي، رسائل الكندي الفلسفية (رسالة في حدود الأشياء ورسومها)، تحقيق د. محمد عبد الهادي أبو ريذة، دار الفكر العربي، ط. 1950م. 121.
- <sup>4</sup> مسكويه، أحمد بن محمد أبو علي (ت. 421هـ)، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، حققه قسطنطين زريق، نشر الجامعة الأمريكية ببيروت، ط. 1966م. 31.
- <sup>5</sup> انظر: د. محمد يوسف موسى، مباحث في فلسفة الأخلاق، مؤسسة هنداوي، 31.
- <sup>6</sup> انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم جمال الدين (ت. 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت-لبنان، ط 3، 1414هـ. مادة قوم.
- <sup>7</sup> انظر: الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت. 817هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشفون الإسلامية ولجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 311/4.
- <sup>8</sup> انظر: ابن منظور: لسان العرب: مادة قوم.
- <sup>9</sup> أخرجه الإمام البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري (ت. 256هـ)، صحيح البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ببيروت، ط. 1987م. كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل.
- <sup>10</sup> انظر: ابن حجر، أحمد بن علي (ت. 852هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، 1410هـ / 1989م. 299/11.
- <sup>11</sup> النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت. 676هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط 2، 71/6.
- <sup>12</sup> أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل. وأول الحديث قوله ﷺ: (لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ. قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمَدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ، سَدَّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَعْدُوا وَوُجُحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّخَانِ، وَالْقَصْدُ الْقَصْدُ تَبَلُّغًا).
- <sup>13</sup> العيني، محمود بن أحمد بدر الدين العيني (ت. 855هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، د. ط، د. ت. 64/23.
- <sup>14</sup> الجرجاني، محمد بن علي الشريف الجرجاني (ت. 838هـ)، التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط. 1، 1983م. 37.
- <sup>15</sup> القشيري، عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت. 465هـ)، الرسالة القشيرية، تحقيق الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، والدكتور محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، 356/2.
- <sup>16</sup> انظر: الألوسي، محمود الألوسي (ت. 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط. 1، 1415هـ- 1994م. 20/4.
- <sup>17</sup> انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: 103/2.

- 18 أخرج الإمام مسلم بن الحجاج (ت 216هـ)، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت، د/ط، د/ت . كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام.
- 19 انظر: الرازي، محمد بن عمر أبو عبد الله فخر الدين الرازي (ت.606هـ)، مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت-لبنان، د.ط.د.ت. 560/27.
- 20 أخرج ابن ماجه (محمد بن يزيد أبو عبد الله (ت 273هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ومحمد كامل قره بللي وعبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط.2009م. المقدمة، بَابُ اتِّبَاعِ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.
- 21 روح المعاني: 345/6.
- 22 انظر: مفاتيح الغيب: 164/1.
- 23 انظر: ابن منظور: لسان العرب: مادة وسط.
- 24 أرسطو (ت.322 ق.م)، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ترجمة أحمد لطفي السيد، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط.1924م. 244/1 .
- 25 انظر: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: 34.
- 26 إحياء علوم الدين: 169/3.
- 27 أخرج البخاري في صحيحه: كِتَابُ الرَّقَاقِ، بَابُ الْقَصْدِ وَالْمَدَاوِمَةِ عَلَى الْعَمَلِ.
- 28 انظر: البيضاوي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت 691هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، د.ط، د.ت. 159/1.
- 29 انظر: الرازي: مفاتيح الغيب: 106/4.
- 30 انظر: المصدر السابق: 106/4.
- 31 أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 159/1.
- 32 أخرج الإمام الترمذي محمد بن عيسى أبو عيسى (ت.279هـ)، مصطفى الباي الحلبي، القاهرة-مصر، ط.2، 1975م. كتاب الفتن : باب ما جاء في لزوم الجماعة .
- 33 أخرج الإمام البخاري: كتاب التفسير: باب وكذلك جعلناكم أمة وسطاً .
- 34 انظر: علم الأخلاق إلى نيقوماخوس: 244/1.
- 35 انظر: أرسطو: المصدر السابق: 242 / 1، والكندي: رسائل الكندي الفلسفية (رسالة في حدود الأشياء ورسومها): 178، و الفارابي (محمد بن محمد بن طرخان (ت.339هـ)، رسائل الفارابي (كتاب التنبيه على سبيل السعادة)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد. 9.
- 36 انظر: مسكويه: تهذيب الأخلاق: 16، والراغب الأصفهاني (الحسين بن محمد بن الفضل الراغب الأصفهاني (ت.502هـ)، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق الدكتور أبو يزيد العجمي، دار الوفاء، المنصورة، ط.2، د.ت. 128.
- 37 الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد الغزالي (ت.505هـ)، ميزان العمل، حققه وقدم له، د. سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، ط.1، د.ت. 264.
- 38 انظر: الغزالي: إحياء علوم الدين: 55/3.
- 39 انظر: مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: 23.
- 40 انظر: مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: 35.
- 41 انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، د.ت. 61/3.
- 42 ميزان العمل: 233.

- 43 انظر: مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: 26 وما بعدها.
- 44 انظر: ميزان العمل: الغزالي: 266، وإحياء علوم الدين: 55/3.
- 45 الذريعة الى مكارم الشريعة: 232.
- 46 انظر: مختصر منهاج القاصدين: 179.
- 47 انظر: إحياء علوم الدين: 172/3. والحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب.
- 48 (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، قَالَ: لَا تَغْضَبْ، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: لَا تَغْضَبْ). أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب.
- 49 انظر: ابن حجر: فتح الباري: 520/10.
- 50 انظر: مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: 23 وما بعدها.
- 51 انظر: الراغب الأصفهاني: الذريعة الى مكارم الشريعة: 224، والغزالي: ميزان العمل: 327.
- 52 انظر: الغزالي: إحياء علوم الدين: 55/3.
- 53 قال الراغب الأصفهاني: "العفة لا تتعلق إلا بالقوة الشهوية، ولا تتعلق من القوة الشهوية إلا بالملذات الحيوانية، وهي المتعلقة بالغايرين وهما: البطن والفرج دون الألوان الحسنة والألحان الطيبة والأشكال المنتظمة". الذريعة الى مكارم الشريعة: 224.
- 54 انظر: الألوسي: روح المعاني: 369/4.
- 55 انظر: د. وهبة مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق-سوريا، ط. 2، 1418هـ. 15/7.
- 56 انظر: الزمخشري: الكشاف: 293/3.
- 57 مفاتيح الغيب: 329/20.
- 58 انظر: مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: 23.
- 59 الرازي: مفاتيح الغيب: 170/7.
- 60 التحرير والتنوير: 187/3.
- 61 راجع عبد الرحمن بن خلدون (ت. 808هـ)، المقدمة، دار ابن خلدون، الإسكندرية، د. ط، د. ت. 319.
- 62 الرازي: مفاتيح الغيب: 320/11.
- 63 انظر: محمد متولي الشعراوي، م تفسير الشعراوي، طابع أخبار اليوم بالقاهرة، د. ط، د. ت. 2976/5.
- 64 انظر: الراغب الأصفهاني: الذريعة الى مكارم الشريعة: 249.



قائمة المراجع:

- القرآن الكريم.
- 01- ابن حجر، أحمد بن علي (ت. 852هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط.1، 1410هـ/1989م.
- 02- ابن خلدون، عبد الرحمن (ت.808هـ)، مقدمة بن خلدون، دار ابن خلدون الإسكندرية، د.ط.، (د.ت.).
- 03- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت.751هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد المعتمد بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط.3، 1996م.
- 04- ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله (ت. 273هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ومحمد كامل قره بللي وعبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط.2009م.
- 05- ابن منظور، محمد بن مكرم جمال الدين (ت.711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت-لبنان، ط.31414هـ.
- 06- أبو حامد الغزالي، محمد بن محمد (ت. 505هـ)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، د.ط.، (د.ت.).
- 07- أبو حامد الغزالي، محمد بن محمد (ت. 505هـ)، ميزان العمل، حققه وقدم له د. سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، ط.1، (د.ت.).
- 08- أرسطو (ت.322 ق.م)، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ترجمة أحمد لطفي السيد، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط. 1924م.
- 09- الألوسي، محمود (ت. 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط.1، 1415هـ/1994م.
- 10- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله (ت. 256هـ)، صحيح البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت-لبنان، ط. 1987م.
- 11- بن قدامة، نجم الدين أحمد بن عبد الرحمن المقدسي (ت. 689هـ)، علق عليه شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق-سوريا، 1398هـ/1978م.
- 12- البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر (ت.691هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط. (د.ت.).
- 13- الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى (ت. 279هـ)، مصطلح البابي الحلبي، القاهرة، ط.2، 1975م.
- 14- الجرجاني، محمد بن علي ابن الشريف (ت. 838هـ)، التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط.1، 1983م.
- 15- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل (ت. 502هـ)، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: د. أبو يزيد العجمي، دار الوفاء، المنصورة، ط.2، (د.ت.).
- 16- الزمخشري، محمود بن عمر أبو القاسم جار الله (ت. 528هـ) الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط.3، (د.ت.).
- 17- الطبري، محمد بن جرير (ت.310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1984م.

- 18- العيني، محمود بن أحمد بدر الدين (ت. 855هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، (د. ت.).
- 19- الفارابي، محمد بن محمد بن طَوْخَان (ت. 339هـ)، رسائل الفارابي (كتاب التنبيه على سبيل السعادة)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، (د.ت.).
- 20- فخر الدين الرازي، محمد بن عمر أبو عبد الله (ت. 606هـ)، دار الفكر، بيروت. د.ط، (د. ت.).
- 21- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت. 817هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للثغون الإسلامية ولجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (د.ت.).
- 22- القشيري، عبد الكرم بن هوازن (ت. 465هـ)، الرسالة القشيرية، تحقيق الإمام د. عبد الخليم محمود، و د. محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، (د.ت.).
- 23- الكندي، يعقوب بن إسحاق (ت. 252هـ)، رسائل الكندي الفلسفية، (رسالة في الفلسفة الأولى)، و(رسالة في حدود الأشياء ورسموها)، تحقيق اد. محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، ط. 1950م.
- 24- محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، (د.ت.).
- 25- محمد عبد الله دراز (ت. 1377هـ)، دستور الأخلاق في القرآن، مؤسسة الرسالة، ط. 10، 1418هـ/1998م.
- 26- محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، د.ط، (د.ت.).
- 27- محمد يوسف موسى، مباحث في فلسفة الأخلاق، مؤسسة هنداوي، (د.ت.).
- 28- مسكويه، أحمد بن محمد أبو علي (ت. 421هـ)، تهذيب الأخلاق، حققه قسطنطين زريق، الجامعة الأمريكية، بيروت-لبنان، ط. 1966م.
- 29- مسلم، بن الحجاج (ت. 216هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، د.ط، د.ت. .
- 30- وهبة مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط. 2، 1418هـ.
- 31- يحيى بن شرف النووي، أبو زكريا محيي الدين (ت. 676هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط. 2، (د.ت.).